

## خاتمة

لقد عرفت مرحلة ما بعد الطائف نهاية الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت من 1975 إلى 1989. غير أن هذه المرحلة لم تكن نهاية للأزمات اللبنانية على الإطلاق، بل كانت فترة شديدة التعقيد والحساسية لما شابها من توتر سياسي وأحيانا عنف، فالأزمة اللبنانية ليست أزمة واحدة، بل أزمات عديدة؛ أزمة لبنانية داخلية، أزمة مرتبطة بالعلاقات السورية اللبنانية، النزاع اللبناني الإسرائيلي..

ولهذا، أثرت الكثير من التساؤلات عن أسباب الأزمة اللبنانية في هذه المرحلة. ففيما أرجع فريق من الدارسين الأسباب إلى العوامل الخارجية التي مصدرها البيئة الإقليمية والدولية والتدخلات الأجنبية، ذهب فريق آخر للحديث عن أسباب نابعة من البيئة الداخلية اللبنانية بمختلف مكوناتها.

ومن خلال هذه الدراسة حاولنا إلقاء الضوء على أهم العوامل المسببة للأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف. ولما كان استعراض كل تلك العوامل أمرا مستعصيا فقد تم التركيز على أهم العوامل الداخلية وكذا التركيز على أهم القوى الإقليمية والدولية الفاعلة والمؤثرة في الوضع اللبناني.

وفيما يلي نتائج الدراسة تطبيقا على الأسباب الداخلية والخارجية وأيهما أكثر تأثيرا في الأزمة اللبنانية، ثم أهم المحاولات الداخلية والخارجية لحلحلة الأزمة، وهذا في صيغة الإجابة على تساؤلات فرعية هي حصيلة الإشكالية الرئيسية المطروحة.

1- ثمة تحديات كثيرة نابعة من ظروف المجتمع اللبناني وتركيبته الطائفية المتعددة من جهة ومن موقع لبنان في المنطقة ككل من جهة ثانية، إضافة إلى الدور الذي تلعبه العوامل السياسية والاقتصادية في تأزم الوضع اللبناني. فرغم التعديلات التي عرفها لبنان على مستوى النظام السياسي والتي كرسها اتفاق الطائف، إلا أن النظام السياسي في هذه المرحلة لم يبتعد كثيرا عن الطائفية، فكل ما حصل هو إعادة توزيع الحصص وتوزيع الأدوار في ضوء المتغيرات الديمغرافية الطائفية لهذه المرحلة.

وبالتالي فإن كل المشاكل والثغرات الموجودة في لبنان على المستوى السياسي، الاقتصادي والاجتماعي بقيت على ما هي عليه قبل الحرب، فلازال التعدد الطائفي يشكل سببا للانقسام الداخلي، ولازال النظامين السياسي والاقتصادي يشكلان عاملين مهمين في حدوث الأزمة اللبنانية.

2- رغم أن التناقضات الداخلية اللبنانية، سياسية، اقتصادية واجتماعية قد لعبت دورا في الأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف. فإنه من المؤكد أن السبب الأهم فيها يعود إلى التدخلات الخارجية، لفترة ما بعد الطائف لم تشهد كثيرا من التغيير، فلبنان - مثل الفترات السابقة - أثرت فيه كثيرا الصراعات الإقليمية والدولية، فكان لبنان مسرحا لهذه الصراعات رغم اختلاف الأطراف أو انسحاب طرف معين ودخول طرف آخر في اللعبة.

والدول الأكثر تأثيرا في مسار الأزمة اللبنانية هي سوريا-إسرائيل-إيران-الولايات المتحدة الأمريكية. فكل واحدة من هذه الدول كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر في الأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف.

أ- سوريا: لقد كانت سوريا السبابة للتدخل سياسيا وعسكريا في لبنان إبان الحرب الأهلية الأخيرة لإنهاء النزاع بين مختلف الأفرقاء اللبنانيين والحفاظ على وحدة لبنان. غير أن ذلك لم يكن الهدف الوحيد، فسوريا كان لها عدة أهداف حاولت تحقيقها من خلال تدخلها وأهم هذه الأهداف هي صيانة أمنها القومي وتحسين موقعها الاستراتيجي بالنسبة لإسرائيل.

لكن استمرار الوجود السوري في لبنان بعد انتهاء الحرب الأهلية وتدخل سوريا في الحياة السياسية والعسكرية اللبنانية ومن ثم تحكمها في الأدوار الرئيسية لهذا البلد، كان له آثار سلبية على الاستقرار في لبنان، لأنه كان سببا في الانقسام بين اللبنانيين بمختلف توجهاتهم السياسية والطائفية خاصة وأن اتفاق الطائف قد نص على انسحاب القوات السورية بعد فترة زمنية معينة وهو ما لم تقم به سوريا.

واستمر الانقسام بين اللبنانيين حول قضية الوجود السوري ومسألة العلاقات السورية- اللبنانية بحيث كانت حدة التوتر تنخفض أحيانا وترتفع أحيانا أخرى. أما الفترات التي زادت فيها حدة الانقسام فكانت بعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني في ماي 2000، وخاصة أن المؤيدين للوجود السوري كانت حجتهم في ذلك هي أن سوريا تقدم الدعم للمقاومة في الجنوب، في حين كان يرى المعارضون أن سوريا هي السبب الرئيسي للأزمة السياسية والاقتصادية الخانقة في لبنان لتدخلها في الحياة السياسية والعسكرية اللبنانية، معتبرين أن إسرائيل ليست المحتل الوحيد لأراضي لبنان بل سوريا أيضا.

أما المحطة الثانية التي زادت فيها حدة السجال السياسي في لبنان فهي استصدار القرار 1559 والتأييد الدولي للمطالبين بالانسحاب السوري من الأراضي اللبنانية.

أما المحطة الأخيرة، أو القطرة التي أفاضت الكأس، فهي اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، واتهام بعض الأطراف اللبنانية والقوى الدولية سوريا وحلفائها في لبنان (حزب الله) بالضلوع في الجريمة وتحميلها مسؤولية الاغتيال.

**ب- إسرائيل:** إن ما يميز إسرائيل عن باقي القوى الإقليمية المؤثرة في الأزمة اللبنانية هو التدخل عسكريا في لبنان لتحقيق أهدافها من خلال الإجتياحات والهجمات المتكررة على مناطق عدة في لبنان. ويستند تدخلها هذا إلى مبررات عدة منها ما يتعلق بلبنان في حد ذاته لما يشكله من مجال حيوي بالإمكان السيطرة عليه وهذا مرتبط بأهداف اقتصادية وسياسية (بما فيها قضية المياه في لبنان)، ومنها ما يتعلق بأعدائها في المنطقة وخاصة سوريا وإيران. فالحروب التي خاضتها إسرائيل ضد لبنان، وإن كان هدفها ضرب حزب الله والدفع نحو نزع سلاحه أو على الأقل تحجيمه وتقييد نشاطه، فإن المستهدف من وراء ذلك هي إيران وسوريا باعتبارهما الداعمين لحزب الله والمقاومة في لبنان.

**ج- إيران:** إن الدور الإيراني في لبنان لا يرتبط فقط بالجانب الديني المتمثل في محاولة تحقيق تبعية الشيعة، وإنما يتجاوز ذلك إلى محاولة التدخل في لبنان بغية لعب دور إقليمي أكبر في المنطقة ككل، والتحكم في المسائل الأساسية في المنطقة مما يقوي مركزها تجاه إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لرفع الضغط عنها في قضية من قضايا التجاذب بينها وبين المجتمع الدولي وهي قضية السلاح النووي.

والتغلغل الإيراني في لبنان كان من خلال الدعم السياسي والدبلوماسي وكذا الدعم المالي للحركات الشيعية وخاصة حزب الله، وهو الأمر الذي خلق نوعاً من اللاتوازن بين القوى اللبنانية خاصة مع تزايد قوة حزب الله ونجاحه في إخراج إسرائيل من الجنوب اللبناني. وهو ما زاد من حدة التوتر والسجال بين اللبنانيين حول دور حزب الله وتبعيته لإيران وقضية نزع سلاحه.

وكما كان الدعم الإيراني لحزب الله سبباً في الانقسام السياسي داخل لبنان، فإنه أيضاً كان سبباً للتدخلات الإسرائيلية والأمريكية في لبنان، وحرب تموز 2006 هي أحسن دليل على أن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تحارب إيران من خلال ضرب حزب الله في لبنان.

**د- الولايات المتحدة الأمريكية:** لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً أساسياً في الأزمة اللبنانية على اعتبار أنها الحليف الرئيسي لإسرائيل. غير أن أهدافها لم تقتصر على دعم إسرائيل في حروبها ضد لبنان فحسب، وإنما كانت لها أهداف أخرى أهم، تندرج ضمن الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بصفة عامة ولبنان بصفة خاصة، بما فيها قضية السلاح النووي الإيراني ودور إيران في المنطقة. فكانت أهم طريقة لتحقيق مشاريعها في المنطقة (مشروع الشرق الوسط الكبير ثم الجديد) ومحاصرة النفوذ الإيراني هي ضرب حزب الله في لبنان الذي -وفق الرؤية الأمريكية- يحسب على إيران.

ومنه فإن لبنان يمثل ساحة لتصفية الحسابات بين مختلف القوى الدولية. فتدخل سوريا كان لصيانة أمنها القومي وحماية نفسها من إسرائيل خاصة بعد فقدانها للجولان، وإسرائيل اجتاحت لبنان مرات عديدة حتى تضغط على سوريا من أجل الانسحاب من لبنان مع الضغط على حزب الله ليكف عملياته عن إسرائيل. أما الولايات المتحدة فإن هدفها الأساسي من التدخل في لبنان هو محاصرة النفوذ الإيراني في المنطقة، في مقابل البحث عن هامش أكثر للمناورة بالنسبة لإيران تستعمله في تجاذبها مع الولايات المتحدة وإسرائيل بخصوص قضية السلاح النووي.

3- لقد جربت وسائل كثيرة ابتغاء حل الأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف بما فيها الوسائل السياسية، الدبلوماسية والقانونية. ومع ذلك، في لبنان، لا يمكننا الحديث عن حل للأزمة أو حل للنزاع كما عرفناه في الإطار النظري للدراسة، وإنما كانت هناك تسويات فقط تتناسب مع الأوضاع الداخلية والخارجية ومصالح القوى الداخلية، الإقليمية والدولية المعنية بالوضع في لبنان.

\* إن النظام اللبناني بسبب المرتكزات الطائفية والمذهبية للسلطة فيه، ينطوي على خلل جوهري يجعله مفتقرا إلى مرجعية داخلية تعالج الأزمات أو يمتصها على الأقل، وهذا ما يفسر فشل كل المبادرات الرسمية أو حتى غير الرسمية في حل أو حتى التعامل مع الأزمات اللبنانية المختلفة.

\* مع فشل المحاولات الداخلية في حل الأزمة اللبنانية تطّلب الأمر تدخل أطراف خارجية. غير أن الحلول التي جاءت من الخارج كانت دائما مقرونة بفاتورة مصالح أو مطالب أو إملاءات، كما أنها كانت مجتزأة ومؤقتة وهشة. فكل الاتفاقات المتوصل إليها لم تعالج الأزمة من أساسها بل كانت مجرد صيغ مؤقتة أو اتفاقات مرحلية لمعالجة زمنية محدودة.